

أهمية تكامل العلم النقلي والعقلي في البحوث والدراسات الأكاديمية

Muh. Naim Madjid

Faculty of Language Education, Department of Arabic Education, University of Muhammadiyah Yogyakarta (UMY), Jl. Brawijaya, Tamantirto, Kasihan, Bantul, Yogyakarta 55183, Tel: (62) 0821 1994 0033. Email: naimmadjid@umy.ac.id

ملخص البحث

يتناول هذا البحث تكامل العلم النقلي والعقلي منهجًا مفضلًا مطبوعًا في البحوث والدراسات الأكاديمية. رأى الكاتب أن إشكالية هذا البحث قائمة على المشكلة التي يواجهها معظم الباحثين المسلمين اليوم، خاصة في مجال العلوم الإنسانية، حيث أنتجوا البحوث والدراسات الفارغة من الروح الدينية (التقييم الإسلامية). ولا تنكر هذه أنها ناتجة عن الغزو الفكري الأجنبي عند الغربيين والمستشرقين. وتسبب هذه المسألة الخطيرة طبعًا خطأ اختيار واستخدام الطريقة الصحيحة الدقيقة في الكشف عن خزائن المعارف والعلوم المستورة وكنوزها الثمينة. ولذلك يقدم الكاتب بحثًا عن ضرورة إدماج الفكرة النقليّة والعقلية طريقةً محكمة ثابتة رئيسة في حقول البحوث والدراسات العلمية الذي يهدف إلى معرفة مفهوم التكامل وإبراز قواعده الأساسية ووسائله ونخطواته وأهمياته. سيحاول هذا البحث حل مشكلة من المشكلات، وهي قضية إنتاج البحوث العاقرة والدراسات المنحرفة عن الأهداف الصحيحة، ويرجى منه يرشد الطلاب نحو بحوث ودراسات علمية مفيدة متمسكة بالمبادئ الإسلامية الأساسية. ويرى الباحث أن المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي الوصفي مناسبان في هذا البحث للحصول على معلومات واضحة ونتائج موثوقة. ومن نتائج هذا البحث: أن منهج تكامل العلم النقلي والعقلي منهج ودليل صحيح دقيق موثق في المجالات والبحوث والدراسات الأكاديمية، ويُعتقد أنه سلاح قوي في صد الهجوم والاتهامات الموجهة إلى أبناء المسلمين اليوم.

الكلمات المفتاحية: التكامل، العلم العقلي، العلم النقلي، البحوث والدراسات الأكاديمية.

(THE IMPORTANCE OF INTEGRATION OF AQLI AND NAQLI KNOWLEDGE IN THE ACADEMIC RESEARCHES AND STUDIES)

ABSTRACT

This research deals with the integration of Aqli and Naqli as a preferred method and applied in the researches and studies Academic. The writer considers that the research's problem is based on the problem of Muslim researchers today, especially in the field of Human sciences, where they have produced the researches and studies devoid of the religious spirit (Islamic values). These are not denied as a result of the infinite intellectual invasion of Westerners and Orientalists. This serious issue, of course, leads to the error of choosing and using the right way to reveal the treasures of the knowledge and the hidden sciences and their precious treasures. Therefore, the writer provides a research about the importance of integration of Aqli and Naqli as an established, firm and main approach in the fields of researches and scientific studies, which aims to know the concept of integration and to show its basic rules, instruments, steps and significances. This research will attempt to solve a problem, the issue of production of barren researches and the studies that deviate from the right goals, and it is expected to conduct the students toward the useful scientific studies

and still grasp the basic Islamic principles. The writer believes that the inductive and descriptive analytical approaches are appropriate in this research to obtain clear information and reliable results. This study concludes that the approach of integration of Aqli and Naqli science is a true and accurate guide in the fields, researches and academic studies, and it can be a powerful weapon in repelling the attacks and accusations which faced by Muslim generation today.

Keywords: Integration; Aqli knowledge, Naqli knowledge; Academic researches and studies.

Received: August 6, 2018

Accepted: October 18, 2018

Online Published: December 30, 2018

١. تمهيد

فإن الإسلام دين الحق المبين، الصراط المستقيم، الحبل المتين، والهدى القويم، لا دين، ولا سبيل، ولا ربط، ولا إرشاد عند الله سواه. بكتابه المعجز يفصل الله عبده الأمين - صلى الله عليه وسلم - مبشراً للمؤمنين ومنذراً للكافرين. فالمتعبّد بتلاوته، والارتقاء (الدرجة) بقراءته - أي بتعلّمه وتعليمه - ، والارتعاد والتلين (الجلد والقلب) بذكره. كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ - سورة الزمر: الآية ٢٣- وقوله أيضاً: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ - سورة المجادلة: الآية: ١١ -

وفي رواية الإمام البيهقي عن النعمان بن بشير قال، قال صلى الله عليه وسلم: "أفضلُ عبادة أمتي قراءةُ القرآن" (البيهقي: ١٨٦٥: ٣: ٣٩٥، والقضاء: ١٢٨٤: ٢: ٢٤٦).

فالقرآن الكريم كتاب ونظام شامل كامل تام يشمل حياة الإنسان بجوانبها المؤسسة بالعبادة القوية الحصينة وهي الاستسلام والإيمان به. والعقل هو الوسيلة الواحدة المفضّلة لمخلوقه الكريم (الإنسان) لأن يفكر كونه، ويعرف ربه جلّ وعلا. فالقرآن الكريم يطابق العقل، أي يوافق العلم، وطرقه، ومناهجه، وتطوره. يعني "أن الإسلام بفضيلته الكبرى يفتح للمسلمين أبواب المعرفة، ويحثهم على ولوجها والتقدم فيها، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن، وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم" (العقاد: ١٩٤٧: ١٢).

ثم نسأل: كيف لا يعرف الناس حقيقة الإيمان، وحقيقة العلم، بينما يعيشون وينتشرون في الأرض بنعمه تعالى وآلائه اللامعدودة؟ ولا يشتغل الباحثون المسلمون اليوم بضرورة التقدم والتجدد في العلم، بل غاصوا في الأمور الجامدة التقليدية، بينما الإسلام قد جاء بنور الحق وشموله يحثّ الناس على التفكّر والتدبّر. يأمر الإنسان بالقراءة أو المطالعة والبحث عما يجعله قريباً من ربه دائماً. كان بعضهم يفرقون عنصري الباطن والظاهر المترابطين في الحياة تفريقاً واضحاً كتفريق العلوم النقلية من العلوم العقلية. وهذا التفصيل قائم على فكرة منحرفة إلى أن الدين (الإسلام) لا يتعلق بحياة المسلم اليومية. هذه هي مشكلة كبيرة خطيرة تظلّ الأمة، وتفسد العقل والعبادة الصحيحة.

فهذا البحث يتحدث عن فكرة مهمة لأجيال المسلمين، وللمعلمين أو المدرسين أو الباحثين خاصة لكيلا تتعثرُوا في اختراعات وبحوث عاقرة، وهي فكرة التكامل بين العلم النقلي والعلم العقلي. فيرجى أن يكون هذا البحث نافعاً للمجتمع، ويكون حلاً دقيقاً لمشكلة الأمة بصفة عامة.

سيبدأ هذا البحث حديثه عن تعريف التكامل ومفهومه الفريد، والعلم النقلي، والعلم العقلي، وأهمية تكامل العلم النقلي والعقلي في البحوث والدراسات الأكاديمية. وتشتمل فيه التوضيحات عن قواعده الأساسية، ووسائله المفضلة، ومراقبه المهمة في هذا التكامل.

٢. تعريف التكامل ومفهومه الفريد، والعلم النقلي، والعلم العقلي، لغةً واصطلاحاً

١،٢. تعريف التكامل

انبعثت كلمة "التكامل" من فعل "تَكَامَلَ يَتَكَامَلُ" نقلاً عن الفعل الثلاثي (كَمَلَ)، ومنه يقال: تكاملت الأشياء: كَمَل بعضها بعضاً بحيث لم تحتج إلى ما لم يكتملها من خارجها "أعمالهم تتكامل ولا تتنافس - تكاملت طباعهما - التكامل الاقتصادي ضرورة بين الدول العربية والإسلامية في ظل العولمة - تكامل الرياضيات والفيزياء". فكلمة "تَكَامَلَ" مفرد، أي مصدر تكامل، وجمعها تكاملات (لغير المصدر)، وجاء تعريفه بشكل واضح في علم الاقتصاد، وهو جمع بين صناعات مختلفة يكمل بعضها بعضاً وتتعاون في الوصول إلى غرض واحد (أنيس والآخرين: ١٩٧٢: ٧٩٨، والمعجم الوجيز: ١٩٩٤: ٥٤١، وعمر: ٢٠٠٨: ١: ١٩٥٩). وبالعكس تنافس "صناعة تكاملية" (عمر: ٢٠٠٨: ١: ١٩٥٩). فحساب التكامل (جب) هو دراسة رياضية للتكامل وتطبيقاته في إيجاد الأحجام والمساحات وجذور المعادلات التفاضلية "التفاضل والتكامل". وتكامل سياسي (سه) هو حالة التماسك التي تسود المجتمع من الناحية السياسية. أما تكامل ثقافي (فن)، فهو توافق متبادل بين سمات ثقافية متعارضة يكون نسقاً ثقافياً منسجماً. بينما تكامل الشخصية (مع) التنسيق المنسجم بين جوانب الشخصية المختلفة وتوافقها مع بيئتها، وهو أمر مستحيل التحقق وإن كان يمثل الهدف الدائم لكل فرد (عمر: ٢٠٠٨: ١: ١٩٥٩).

وفي موضع آخر، جاء ذكرها بمعنى اكتفاء، وتنام (complementary). ونتيجةً عن اتصافها بكلمات أخرى تؤدي إلى عدة معانٍ متنوعة، منها: تكامل اتصالي (communicative integration)، تكامل اجتماعي (social integration)، تكامل اجتماعي مرتفع، أي حضور، المعايير (الموجهة للسلوك) (eunomia)، تكامل أفقي (على نفس المستوى) (horizontal integration)، تكامل اقتصادي (economic integration)، تكامل الجماعة (group integration)، تكامل المجتمع المحلي (community integration)، تكامل بين الأشخاص (integration interpersonal)، تكامل تكامل جانبي (lateral integration)، تكامل خارجي (external integration)، تكامل داخلي (internal integration)، تكامل رأسي (vertical integration)، تكامل صناعي (symbiosis, industrial)، تكامل معياري (normative integration)، تكامل وظيفي (functional integration)، وتكاملية تصادفية (stochastic integrality) (الصالح: ٢٠١٢: ٦٢-٦٣).

ومن خلال ما تقدم نجد أن كلمة "التكامل" تشير إلى عملية الاندماج أو الاتحاد أو الإلحاق بين الشئين أو الأمرين المختلفين التي تنتج نمطاً أو نظاماً منظماً منسجماً ومتناسجاً متوافقاً - حيث ترابط وتساند الآخر مع الآخر - نحو كمال التخصص والتحصيل الموثوق به.

٢,٢. مفهوم العلم وأجناسه وتقسيمه الأساسي

العِلْمُ: نقيض الجهل، علمٌ علماءٌ، وعلمٌ هو نفسه. قال ابن جني: لما كان العلمُ قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول المألوسة صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلماً لا عالماً، فلما خرج بالغريزة إلى باب فُعل صار عامّاً في المعنى كعلم، فكُتبت تكسيره، ثم حلوا على ضده. فالعلم هو إدراك الشيء بحقيقته، وهو اليقين، وهو نور يقذفه الله في قلب من يحب. وهو المعرفة. وقيل: العلم يقال لإدراك الكلّي والمركّب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئيّ أو البسيط، ومن هنا يقال: عرفث الله، دون علمته (أنيس والآخرين: ١٩٧٢: ٢: ٦٢٤). ويقال أيضاً: العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وهو حصول صورة الشيء في العقل، وهو زوال الخفاء (الجرجاني: ١٩٨٨: ٣: ١٥٥، والتونجي: ١٩٩٣: ١: ٦٥٧). وقيل: العلم وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل أيضاً: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول (الجرجاني: ١٩٨٨: ٣: ١٥٥).

ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام، وعلم النحو، وعلم الأرض، وعلم الكونيات، وعلم الآثار. وجمعه علوم. فالعلوم العربية هي العلوم المتعلقة باللغة العربية كالنحو، والصرف، والمعاني والبيان والبدیع، والشعر والخطابة، وتسمى بعلم الأدب. ويطلق العلم حديثاً على العلوم الطبيعية التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار، سواء أكانت أساسية: كالكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والجيولوجيا، أم تطبيقية: كالطب والهندسة والزراعة والبيطرة وما إليها (أنيس والآخرين: ١٩٧٢: ٢: ٦٢٤).

وجاء تقسيمه عند الجرجاني إلى قديم وحادث. فالعلم القديم: هو العلم القائم بذاته تعالى، ولا يشبه بالعلوم المحدث للعباد. والعلم المحدث قسّمه إلى ثلاثة أقسام: بديهي، وضروري، واستدلالي. فالبديهي ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة، كالعلم بوجود نفسه، وإن الكل أعظم من الجزء، والضروري ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة، كالعلم الحاصل بالحواس الخمس، والاستدلالي ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة، كالعلم بثبوت الصانع، وحدوث الإعراض (الجرجاني: ١٩٨٨: ٣: ١٥٥). وفي التصنيف الآخر، ذكره التونجي في كتابه أنه ينقسم إلى العلم الفعلي: ما لا يؤخذ من الغير، والعلم الانفعالي: ما يؤخذ من الغير، والعلم الانطباعي: هو حصول العلم بالشيء بعد حصول صورته في الذهن، ولذلك يسمى علماً حصولياً (التونجي: ١٩٩٣: ١: ٦٥٧).

وورد تقسيمه أيضاً في كتاب درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية إلى نوعين: أحدهما العملي، وهو ما كان شرطاً في حصول المعلوم، كتصور أحدنا لما يريد أن يفعله، فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج إليه؛ وثانيهما (العلم) الخبري النظري، وهو ما كان المعلوم غير مفتقر في وجوده إلى العلم به، كعلمنا بوحداية الله تعالى وأسمائه وصفاته وصدق رسله وبملائكته وكتبه وغير ذلك، فإن هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أو لم نعلمها، فهي مستغنية عن علمنا بها. والشرع مع العقل هو من هذا الباب، فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه، سواء

علمناه بعقولنا أو لم نعلمه، فهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا، ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به، وما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دينه وآخرته، وانتفع بعلمه به، وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك، ولو لم يعلمه لكان جاهلاً ناقصاً (ابن تيمية: ١٩٩١: ٢: ٨٨-٨٩). ومن هنا نجد المصطلح النظير بما سبق، وهو "العلوم الشرعية والعلوم العقلية".

ذهب ابن خلدون في مقدمته إلى أن "العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه، والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية... والثاني هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر من الواضع الشرعي" (ابن خلدون: د. ت: ٣٠٥). فوصل إينا مصطلح "العلوم الحكمية الفلسفية" أو هي العلوم العقلية، و"العلوم النقلية الوضعية" أو هي العلوم النقلية نفسها. وتسمى أيضاً بالعلوم الإنسانية والعلوم الدينية. كما جاء ذكره في قول الغزالي عن سبب تأليفه للإحياء: "ولما كان هذا ثلماً في الدين ملماً وخطباً مدلهماً، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهماً، إحياء لعلوم الدين، وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحاً لمباي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين" (الغزالي: د. ت: ٢).

فخلاصة القول، أن علماء الفكر الإسلامي قديماً حرصوا على وضع أسس منهجية، بما يدرك العلم، فقسموا العلوم إلى عدة تصنيفات، وبنوا سبل إدراك كل علم؛ فكان من أهم مناهجهم في تحصيل العلم القياس والاجتهاد، بحكم العقل والإدراك والحس، وبحكم العلة. والقياس أو الاجتهاد منهجي علمي للوصول إلى مختلف ما خفي عن الإنسان من صنوف العلم؛ فهو منهج ينطلق من التكامل المعرفي، ويسعى إلى التكامل المعرفي (وان محمد عزام، وصاحبة حاج يعقوب، وسيكو توري: ٢٠١٥: ٧٢).

٣, ٢. تعريف العلم النقلية والعلم العقلي ومفهوم التكامل بينهما

أسلفنا الكلام عن مفهوم العلم عند بعض اللغات، ونصبت هنا على تعريف العلم النقلية والعلم العقلي للوصول إلى مقصود التكامل بينهما بشكل واضح، وسيسوقنا إلى نقاط مهمة عن فوائده وأهمياته الجلية. جاء في لسان العرب: النَّقْلُ: تحويل الشيء من موضع إلى موضع. والتَّنْقُلُ: التحوُّل. والنَّقْلَةُ: الانتقال، والنميمة تنقلها. ويقال: والنَّقْلُ: سرعة نقل القوائم (ابن منظور: ١٩٩٠: ١: ٤٥٢٩) ونقل الكتاب: نسخه. ونقل الخبر أو الكلام: بلغه عن صاحبه. ونقل الدواب: سقاها نخلًا وعللاً. ونقل الكتاب إلى لغة كذا: ترجمه بها. ويقال: المنقول: ما عُلم من طريق الرواية أو السماع، كعلم اللغة أو الحديث ونحوهما، وهو يقابل المعقول (أنيس والآخرون: ١٩٧٢: ٢: ٩٤٩).

وكان مصطلح "النَّقْلُ والنَّقْلَةُ" ظهر في العصر العباسي إبّان المرحلة الذهبية للفكر الإسلامي، وحين تمازجت الثقافات. وكان لحركة الترجمة يدٌ طوي في ازدهار الحياة الفكرية. فالنَّقْلُ هو ترجمة العلوم والنصوص إلى العربية، والنقلة هم المترجمون. والحق أن للمسيحية قبل الإسلام فضلاً جليلاً، إذ ترجموا الفلسفة اليونانية إلى السريانية. ثم قام السريان أنفسهم في العصر العباسي بعبء نقل الفلسفة الإغريقية من اليونانية والسريانية إلى العربية.

وقد نشطت حركة النقل والنقل في عصر المأمون خاصة. ومن النقلة: متى بن يونس القنائي (ت ٣٢٨هـ)، وحنين بن إسحاق، وابن المقفع (عن الفارسية) (التونجي: ١٩٩٣: ١: ٨٦٦-٨٦٧).

وبعد هذه الإطلاقة، نجد عدة كلمات كا الانتقال أو التحويل والتبليغ والنسخ والترجمة، التي تهدف إلى تعريف العلم النقلية. فالمقصود بالعلم النقلية هنا هو علم الذي يُحصل عن طريق الانتقال أو التحويل أو التبليغ أو النسخ كما هو الأصل، أو جاء بطريقة السماع، وهو ما يتعلّق بكتابه تعالى وسنة رسوله مباشرة، أي حيث يجعل القرآن الكريم مصدراً رئيسياً والحديث النبوي مصدراً ثانوياً في قرار تحكيم الأمر. فالعلوم النقلية نستطيع أن نذكر عدة أمثلتها كعلم إعجاز القرآن، وعلم التفسير وأصوله، وعلم الحديث، وعلم الفقه وأصوله، وعلم العقيدة وأصول الدين، وهلمّ جرّاً.

أما كلمة "العقل"، فأشارها صاحب لسان العرب إلى أنه: الحجرُ والثُّهى ضدَّ الحُمقِ، والجمع عقولٌ. وقال ابن الأنباري: رجلٌ عاقلٌ وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلتُ البعيرَ إذا جمعتَ قوائمه. وقيل: العاقل الذي يحبسُ نفسه ويرُدُّها عن هواها. والمعقول: ما تعقله بقلبك. ويقال: العقلُ: الثبّت في الأمور، وهو القلبُ. وسُمّي العقلُ عقلاً لأنه يعقلُ صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسُه. وقيل: العقلُ هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان (ابن منظور: ١٩٩٠: ١: ٣٠٤٦).

وورد في المعجم الوسيط (العقل): هو ما يقابل الغريزة التي لا اختيار لها. ومنه: الإنسان حيوانٌ عاقل. وهو ما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصورات والتصديقات. وهو ما به يتميز الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل. وهو القلبُ، والديّةُ، والحصنُ، والملجأُ (أنيس والآخرون: ١٩٧٢: ٢: ٦١٧).

ودفع الجرجاني تعريفه في كتابه (التعريفات) على عدة معانٍ، منها: حذف الحرف الخامس المتحرك من "مفاعلتن" وهي اللام، ليقي "مفاعلتن"، فينقل إلى "مفاعلتن"، ويسمى معقولاً؛ وهو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا؛ وقيل: العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل؛ وقيل العقل جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف؛ وقيل العقل قوة للنفس الناطقة، وهو صريح أن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة وأن الفاعل في التحقيق هو النفس والعقل آلة لها بمنزلة السكين بالنسبة إلى القاطع؛ وقيل العقل والنفس والذهن واحد إلا أنّها سميت عقلاً لكونها مدركة، وسميت نفساً لكونها متصرفة، وسميت ذهنًا لكونها مستعدة للإدراك؛ ويقال العقل: ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل محله الرأس، وقيل محله القلب (الجرجاني: ١٩٨٨: ٣: ١٥١-١٥٢). وأضافه التونجي عمّا ذكره الجرجاني إلى أنه (العقل) ملكة اختصّ بها الإنسان دون سائر المخلوقات، يميز بها بين الخير والشر، والصحيح والخطأ، وتساعد على تعيين الصلات بين الأشياء. والعقل هو الذي يوجه الأديب إلى أدبه، والناقد إلى نقده (التونجي: ١٩٩٣: ١: ٦٥١).

وجاء قول العسكري في كتابه - الفروق اللغوية - عن فروق واضحة بين العقل وكلمات أخرى مترابطة. فالفرق الأول بين العقل والأرب، أن قولنا: الأرب يفيد وفور العقل من قولهم: عظم مؤرّب إذا كان عليه لحم كثير وافر، وقدح أريب وهو المعلى وذلك أنه يأخذ النصيب المؤرّب أي الوافر. والفرق الثاني بين العقل واللب، أن قولنا: اللب يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به، والعقل يفيد أنه يحصر معلومات الموصوف به، فهو مفارق له من هذا الوجه، ولباب الشيء ولبه خالصه، ولما لم يجوز أن يوصف الله تعالى بمعان بعضها أخلص من بعض لم يجوز أن يوصف باللب. والفرق الثالث بين العقل والثّهي، أن قولنا: أن النهي هو النهاية في المعارف التي لا يحتاج إليها في

مفارقة الأبطال، ومن يجري مجراهم وهي جمع واحدها التَّهْيَةُ، ويجوز أن يقال: إنها تفيد أن الموصوف بما يصلح أن يُنتهى إلى رأيه، وسمي الغدير تَهْيًا لأن السيل ينتهي إليه، والتنهية المكان الذي ينتهي إليه السيل. والفرق الرابع بين العقل والحجاء، أن الحجاء هو ثبات العقل من قولهم تَحَجَّى بالمكان إذا قام به. والفرق الخامس بين العقل والذهن، أن الذهن نقيض سوء الفهم، وهو عبارة عن وجود الحفظ لما يتعلمه الإنسان ولا يوصف الله به لأنه لا يوصف بالتعلم (العسكري: ١٩٩٧: ٨٤-٨٥). ووجيز القول - هنا - إن العقل وسيلة وآلة وقوة تقود به الإنسان - أي عبداً كريماً زوّده الله وأكرمه به - إلى درجة العلم والفهم والفقّه، حيث يحلّ كل حركة صاحبه ظاهراً وباطناً كتخييل الشيء، وتصويره، وتفكيره، وتصديقه. وسمي أيضاً بالقلب.

ويُفضي بنا البيان المتقدم إلى أن العلم العقلي هو علم الذي يستخدم ويفضّل قوة العقل - أي بالفهم والتفكير - للوصول إليه حتى تصبح المعلومات والنتائج الحاصلة عن عملياته مسؤولية وموثوقة بما علميةً عقليةً. فمن العلوم العقلية المقصودة بما - هنا - هي كعلم الفلسفة، والعلم الاجتماعي، والعلم الاقتصادي، والعلم السياسي، والعلم النفسي، وعلم النبات، وعلم الطب، وعلم الهندسة، والرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، وغيرها. استناداً إلى ما سبق، عزّف الباحث تكامل العلم النقلي والعلم العقلي بأنه اندماج واتحاد بين مجالي العلم (النقلي والعقلي) في نظام ومبدئ ومنهج متماسك متوافق متناسق منسجم الذي يسير نحو تقدّم العلم وتجذّده المضى المتألّئ، وينتهي إلى تفوق حضارة الأمة المحترمة، وهي أمة وسطية.

٣. أهمية تكامل العلم النقلي والعقلي في البحوث والدراسات الأكاديمية

في الحديث عن أهمية التكامل (العلم النقلي والعقلي)، لا بد أن نستبصر في عدة نقاط مهمة وهي كما يلي:

١،٣. موقف الوحي

قال الذي تقدست أسماؤه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۚ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۚ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۚ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۚ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ ﴾ - سورة النجم: الآية ٣-١١ -

قد اصطفى الله عبده الكريم مبشراً ومنذراً للناس أجمعين. أكرمه الله بكتابه العظيم وأقوال هذا عبده الأمين وأفعاله، وإقراره المعجزة المستندة إلى المصحف الشريف، بياناً وتوضيحاً له. "فليس نطقه صادراً عن هوى نفسه. ما هو القرآن وما الحديث إلا وحي من الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. علّم نبيّه صلى الله عليه وسلم ملك شديداً القوة، ذو منظر حسن، وهو جبريل عليه السلام، الذي ظهر واستوى على صورته الحقيقية للرسول صلى الله عليه وسلم في الأفق الأعلى، وهو أفق الشمس عند مطلعها، ثم دنا جبريل من الرسول صلى الله عليه وسلم، فزاد في القرب، فكان دنؤه مقدار قوسين أو أقرب من ذلك. فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عبده محمد

صلى الله عليه وسلم ما أوحى بواسطة جبريل عليه السلام. ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره" (التفسير الميسر: ٢٠١٢: ٤: ٥٢٦).

القرآن والسنة ربط وتمسك وحيد قوي متين الذي لا يمكن التفكك بينهما، يصل الناس به جميعاً إلى الحق والهداية والعناية، ويتبعوا به عن الباطل والضلالة والكراهة، ما داموا يعتصموا بهما. قال صلى الله عليه وسلم: "تركث فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه" (مالك: ٢: ٨٩٩) - بسند مقطوع، ولكن لهذا الحديث شاهد من حديث الترمذي، سنن، (٣٨١١)، ٥: ٤٣٣، بلفظ مختلف - فالقرآن الكريم كلام الله العزيز، المنزل على قلب نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - بواسطة الروح الأمين، المنقول بالتواتر، كما في قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمَلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ - سورة الفرقان: الآية ٣٢ - أي كذلك أنزلناه مفزقاً؛ لنقوي به قلبك (محمد) وتزداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله، ويتناه في تثبت ومهلة - وهو المكتوب في المصاحف، المتعد بتلاوته، المتحدى ببلاغته، المحفوظ في صدور من عُني به من المسلمين. وهو حكمة عظيمة بالغة غايتها، وموعظة جلية من رب العزة والجلال، ونور مبين، والذكر الحكيم، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين. بجمال ألفاظه الرائعة، وكمال تعبيراته ومعانيه المعجزة، فليس كمثله شيء لو كانت الإنس والجن انضمتوا واتحدوا على أن يبتكروا بمثله شيئاً، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ - سورة الإسراء: الآية ٨٨-، وكان يصبح مصدراً رئيسياً من كل مصادر ومراجع. قال جل ثناؤه: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ - سورة العلق: الآية ٥ -، وقوله أيضاً: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ - سورة البقرة: الآية ٣٢-، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أراد العلم فليؤثر القرآن) (الطبراني: (٨٦٦٤)، (٨٦٦٥)، و(٨٦٦٦): د. ت: ٩: ١٣٥-١٣٦، والبيهقي: (١٨٠٨): د. ت: ٣: ٣٤٧). وفي الحديث الآخر: (أثيروا القرآن فإنه علم الأولين والآخرين) (البيهقي: (١٨٠٨): د. ت: ٣: ٣٤٧).

أما الحديث النبوي، فظهرت معجزته في قوة بيانه من خلال بلاغة أو فصاحة لسان عبده المصطفى - محمد صلى الله عليه وسلم. وقد وصف البلغاء كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه النهاية في البيان والغاية في البرهان، المشتمل على جوامع الكلم وبدائع الحكم. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب بيد أي من قريش واسترضعت في سعد بن بكر". وذكر الأستاذ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني عدة وجوه الإعجاز في البلاغة النبوية في بحثه عن إعجاز البيان النبوي، وهي: "مطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال، ومطابقة بيانه للقرآن الكريم، وبراعته في ضرب الأمثلة، وبداهته وقطع حجة خصمه، وحسن الإيجاز وجوامع الكلم، والصور والأساليب البلاغية، وصدق الحديث، وصعوبة التقليد" (الكتاب التذكري: ١٩٨٥: ٤٦٦-٤٨٦).

الكتاب والسنة معاً لا يفترقان إلى يوم الدين .. هما حقيقة الوحي، والوحي هو الذي بيننا وبين الآخر؛ فعندما نختلف معهم إنما نختلف لأن الكتاب والسنة قد أحررا كذا بكذا، وآخر لا يعرف كتاباً ولا يؤمن بسنة ولا يريد أن يحتكم إليهما، فرينا يقسم أن هؤلاء ليسوا من المؤمنين (علي جمعة: ٢٠٠٩: ٢: ٢٨). فالقرآن الكريم هو معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - الكبرى، وكان خلقه عظيم، وما خرج من نطقه الفصيح إلا بيان للقرآن وتفصيل له. وتلمح هذه إلى أن القرآن والسنة لا بد أن نحلها معاً ونتمسك بهما متواصلين في اقتفاء صراطه

وسبيله المستقيم، سواء كانا مصباحي الصدور المنيرين في تعزيز أسماؤه المقدسة من خلال العلوم الصحيحة أو مرشدي الحياة نحو الحياة الحقيقية الخالدة - أي الآخرة. وقد اتضح لنا هذا العطف - أي اتباع الرسول إلى الله في الطاعة - في عدة آي الذكر الحكيم تكراراً ومراراً. كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ - سورة آل عمران: الآية ١٣٢-. هذه هي القاعدة الأساسية في هذا التكامل (العلم النقلی والعلم العقلي) بحيث ينبغي للباحثين المسلمين اليوم أن يهتموا بما اهتماماً كبيراً بأن القرآن والسنة لا يناظرهما شيء، ولا يبدلها شيء، فلا بد لهم أن يفضلوا ويجعلوا القرآن مصدراً رئيساً والسنة مصدراً ثانوياً في مطالعاتهم العلمية وبحوثهم الأكاديمية، بل في كل أمورهم الدنيوية والأخروية.

٣، ٢. مهمة العقل

مجيء الإسلام بإرشاده القويم يبيننا درجة العقلاء العليا من خلال آياته المقدسة المعجزة. هم العلماء، أولوا الأبصار، أولوا الأبواب، وهم الذين يعقلون بليماهم واتفائهم القوي الشديد الثقيل، أي بقوة الحبل في الخيل، كشدة جذور الشجرة القديمة، كثقل الطود الضخم في الوزن. فالعقل - يمكن أن يقال أنه وسيلة واحدة التي تدفع الناس على الإيمان الحقيقي - والإيمان - يجوز أن يقدم أنه المرحلة الأولى التي تفتح عالم التفكير والتدبر للناس - بمشيان في الأمام نحو غرض ومصير واحد، ألا وهو جنته الخالدة، وهو حسن المآب.

ورد كثير من آي القرآن التي تدل على ضرورة العقل في تفكير وتدبر آياته العظيمة، سواء أكانت تُعبّر باللفظ نفسه (العقل) أم تُصوّر بكلمات تحذف إليه معانيها. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُحِرفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ - سورة البقرة: الآية ٧٥-، وقال أيضاً: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ - سورة البقرة: الآية ٢٤٢-، وفي آية أخرى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ - سورة البقرة: الآية ٢١٩-

وفي مواضع مختلفة من آياته، قد نبه الله تعالى فيها الذين لا يعقلون ولا يفكرون ولا يتذكرون آياته العظيمة - أي هم الذين يكذبون بما تكديباً ضخماً ويكفرون بما كفرأ جلياً وينكرونها إنكاراً بعيداً - سُخرية ومكماً لسخافتهم وجهالتهم. قال الله عز وجل: ﴿ وَلِلذَّارِ الْآخِرَةِ حَزَنٌ لِّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ - سورة الأنعام: الآية ٣٢-، وورد نظيرها في الآيتين في السورتين المختلفتين، هما في آية مائة وتسعة وستين من سورة الأعراف، وآية مائة وتسعة من سورة يوسف. وفي قوله أيضاً: ﴿ وَبِالْأَيْمَانِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ - سورة الصافات: الآية ١٣٨-، قد كثر الله تعالى هذه العبارة الضرورية (أفلا تعقلون) تكراراً كثيراً في عدة سور. وتشير هذه إلى أن العقل أهم الأمور يتجاوز الأخرى في الاعتقاد والإيمان بالله واحد، وأهم الوسائل والطرق للوصول إلى التقارب والمثانة إلى دينه القويم. فلا يمكن نفيها، لأن العقل يقوم بدور مهم لصاحبه في معرفة الله تعالى وإدراك وظيفته الحقيقية في الأرض - أي خليفة، كما أكد الله هذا الأمر في الحوار المحسوس في آية الثلاثين من سورة البقرة. والآيات الأخرى التي جاءت أيضاً هُزئة لهم، هي في قوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ - سورة الأنعام: الآية ٥٠-، وقوله أيضاً: ﴿ مَا

لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعَ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿ - سورة السجدة: الآية ٤ -، وقوله أيضاً: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضَبَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ - سورة القصص: الآية ٧١ -، وقوله أيضاً: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ - سورة القصص: الآية ٧٢ -

بناء على هذه الأدلة الظاهرة، نجد عدة كلمات يرتبط بعضها بعضاً وهي تصدر مغازبها من مصدر واحد وهو "العقل". وتلك الألفاظ هي: تعقلون، تتفكرون، تتذكرون، تسمعون، وتبصرون. إضافة إلى هذه، وجدت أيضاً عدة ألفاظ أخرى في الآيات القرآنية التي تتجه إلى فحوى "العقل"، وهي تفقهون، وتعلمون. فكلمة "تفقهون" تُعبر مرة في القرآن الكريم، كقوله: ﴿ وَلَيْكُنْ لَأَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ - سورة الإسراء: الآية ٤٤ - . أما لفظ "تعلمون"، فذكر في غزير من آياته بقدر الألفاظ الأخرى المذكورة. وأسلفنا الحديث عن تعريف كلمة "العلم" - أي أصل كلمة "تعلمون" - والفرق بين العلم والعقل عند أبي هلال العسكري.

٣،٣. الخطوات الأساسية في تكامل العلم النقلى والعلم العقلي

هذه هي النقطة المهمة التي سيتحدث عنها الباحث في هذا الجزء، ونرجو من هذه المناقشة سيراتنا لنا رصيف واضح أو نمط جلي وهو انسجام متوافق بين الوحي والعقل كتناغم علمي النقل والعقل في الإلحاق التكاملي. بدأ الباحث أن يقدم آية تتضمن فيها هذه المراقي الأساسية، وهي كما في قوله العظيم: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ - سورة النحل: الآية ٧٨ -، وأما تصنيفاتها بشكل تفصيلي فهي كما يلي:

أولاً: السمع

توافر العديد من الآيات القرآنية يذكر كلتا كلمتي "السمع" و "الأبصار" في جملة واحدة. وكان تقدم "السمع" على "الأبصار" جاء بيانه بوضوح من صاحب فكرة النظم - الشيخ عبد القاهر الجرجاني - في سياق التفسير البلاغي. فيقال أن سر تقدم "السمع" على "الأبصار" في كل اجتماع بينهما في الآيات القرآنية يلمحنا إلى أن حاسة السمع تعمل أولاً - أي تنمو وتتطور - لدى الطفل قبل حاسة البصر. فحينما أدهش الضوضاء الرضيع الجاحظ عينيه فجأة، فذعر وبهت تلقائياً، كأنه يحيط به روعٌ. فهذه الشعور نتيجة أو عاقبة عن الحادثة الممنوحة. وفي النظرية السلوكية تعرف هذه الحالة باصطلاح "مثير" (stimulus) و "استجابة" (response). فالجلبه مثيره والذهل استجابته. وإن هذه الاستجابة قطعياً ولدت من عمل حاسة السمع.

بالنسبة إلى الرسالة الدينية، فمن المعلوم أن طريقة السماع هي الطريقة الوحيدة المستخدمة - بادئ ذي بدء - في عملية انتقال الوحي. وكذلك في المرحلة التالية - أي إثر نزوله - استعملت لجمعه في المصحف الشريف

بتطبيق منهج الحفظ عند الصحابة. من هذا المنطلق، نجد أن المعارف والعلوم - للوهلة الأولى - تُحصل وتُنتج عن طريق السماع.

فماذا نستفيد منها (طريقة السماع) عندما ندفعها على مجال العلمية الأكاديمية؟ أهي متناسبة ومتناغمة بتطور العلوم وتحدده عبر العصور أم لا؟ الإجابة والإشارة إليها نبدأها ببيان وجيز عن فلسفة السمع بحذ ذاته. كان السمع حاسة من الحواس الخمس، وكان الأذن آتته أو عضو السمع. بشكل الأذني المفتوحين طبيعياً للإنسان، فيمكن أن يُفهم أنه دليل على استطاع حاسة السمع تقبل الأصوات من كل أنحاء، سواء أكانت قريبة أم بعيدة بمداهها المحدود يتجاوز مدى النظر. وبفرد شكلها في كل تعبيرات قرآنية (السمع) يدل على موضوعيتها في قبول الأشياء، أي رغم أن هذه المعلومات جاءت من مختلف المصادر، لكن هذه الحاسة تحضنها مباشرة كما هي. فالاستطاع في قبول هذه الأصوات يتشابه ويتطابق مع الإصطلاح المعلوم - عند الباحثين - في البحث العلمي، وهو طريقة جمع البيانات (collection of data). وجددير بالذكر هنا أن للباحثين في جمع البيانات والمعلومات لا بد أن يغرسوا في نفوسهم صفة موضوعية، يعني يستطيعون أن يختاروا أيّ الخبر الصحيح وغير الصحيح. فالمعلومات والبيانات الصحيحة الدقيقة تعين جودة البحث العلمي. وما كان هدفها إلا قصداً للمنع عن اختلاط البيانات والمعلومات الصحيحة مع البيانات والمعلومات الكاذبة الزائفة. فالأصلية هنا مفصلة ومقدمة.

ثانياً: الأبصار

أما حاسة البصر، فننصبّ حركتها على عمل العينين في النظر إلى الشيء. كان مداها محدوداً في الأشياء الموجودة في الأمام، وهو أضيّق من حاسة السمع. في وظيفتها الظاهرية من خلال عضوها، هو "العين" نجد عدة ألفاظ - باستثناء لفظ "بصر" - يتمثل اللفظ الواحد بالآخر، منها: رأى، نظر، راقب، جحظ، لاحظ، شاهد، وغيرها. وفي جانب آخر، أي في الأمور الباطنية نسمع أحياناً أن الصوفي يبصر بعين قلبه، أي بالبصيرة. فنجد هنا أيضاً أن الإنسان حقيقياً يستطيع أن يبصر بالبصر (بعين رأسه) - وهو رحمة ظاهرية من ربه لمخلوقاته - ويبصر ببصيرته (بعين قلبه) - أي بقلبه وركائه وعبقريته وهو صفة خصوصية أحصها الله لمخلوقه الكريم. فالثاني يتعلق مع الخصيصة الثالثة (الفؤاد) في هذه الخطوات التي سيأتي الحديث عنها.

والأمر المختلف بالسمع، أن البصر قد يكون تعبيره في الآيات القرآنية بشكل المفرد (البصر)، وقد يكون بشكل الجمع (الأبصار). يشير هذا إلى أن الاستجابة الممنوحة في نظر الشيء متنوعة. فحينما تنظر الطائفة شيئاً أمامها، فلكل شخص منها وجهة نظر مختلفة في تفسيره، رغم أن بعضها يساوي البعض، وليست هذه صدفة، وإنما هي إرادة من ربنا سبحانه وتعالى - أي حدث كل أمور بإذنه الجازم. الموضوع المرئي برأي العين متساوي، ولكن الآراء والنظرات الناتجة عن الرؤية والبصر متنوعة مختلفة.

بالنظر إلى ما سبق، نجد المصطلح المتمثل والمتشابه بحاسة البصر في البحث العلمي، وهو ما يسمى بطريقة الملاحظة أو المشاهدة (observation method). وهذه هي الخطوة الثانية يمرّ بها الباحثون عادةً في عملية البحث العلمي الأكاديمي، خاصةً في البحوث والدراسات الميدانية. أما في البحوث والدراسات المكتبية،

فُتفهم طريقها بمطالعة وقراءة عدة مصادر ظاهرية - أي كتب متعلقة مع البحث. قد انسجمت هذه الطريقة (الملاحظة) مع الخطوة الثانية (البصر) في الآية المذكورة.

فالأمر المهم لا يجوز تفرغه وإخلائه من الباحثين في هذا التكامل هو أن بعد وصلت إليهم البيانات والمعلومات المحسولة على طريق السماع أو الجمع، فلا بد لهم أن يفحصوا عن أصلية وصحتها من خلال الملاحظة والقراءة الثابتة الموضوعية. أي إن البيانات والمعلومات المتصلة بالعلوم النقلية والعلوم العقلية تحتاج إلى التوازن والتعادل في مطالعتها. فالحايدة هنا مأكدة مهتجة.

ثالثاً: الأفتدة

نتهي - في نهاية المطاف - إلى الخطوة الأخيرة العليا من هذه المراقي الأساسية في البحث عن تكامل العلم النقلية والعلم العقلي. كلمة "الأفتدة" هي الجمع لمفرد "الفؤاد". وعني الفؤاد بالقلب، وقيل: وسطه، وقيل: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه (ابن منظور: ١٩٩٠: ١: ٣٣٣٤). ومضى بنا القول أن القلب العقل. ففي هذه الخطوة، أن الفؤاد لعب دوراً مهماً في تعامله مع الأمور الماضية والحاضرة والقادمة تقيماً وتبريراً موثوقاً بما. ليس معنى الفؤاد مجرد التصديق بشيء، وإنما يقصد به تحليل الشيء بطريقة صحيحة دقيقة نحو التصديق الحقيقي. ففي عملية الفؤاد يكون العقل وسيلة واحدة للوصول إلى هذا التصديق الحقيقي. أي مقصوده أن الفؤاد والعقل يصعدان معاً - حيث يكون العقل مركوبه، والفؤاد رآكبه - نحو أعلى الأماكن في صدق دين الله المستقيم. ومن المعلوم أن طريقة التحليل (analyze method) تحل الموقف الثالث في تنفيذ البحوث والدراسات الأكاديمية. ويناسب هذا مع المعطوف الثالث (الأفتدة) في الآية السابقة. أي أن في تنقيب الشيء باستخدام طريقة التحليل يعمل العقل بالمسند القوي المكين إلى القلب أو الفؤاد ليبلغ إلى اكتشافات صحيحة حقيقية. فماذا هو التحليل الصحيح المراد في هذا التكامل؟

ذكرت سورباني سودي - Suriani Sudi - والآخرون في مقالتهم أن الذكاء الروحي (spiritual intelligence) يتكئ على شفافية القلب ونقاءه مع مراعاة العلاقة القوية بالله عزّ وجلّ. فتنبعث منه قوة كبيرة رائعة مؤثرة، ويصل الإنسان بهذا الذكاء إلى نفسه الناطقة التي تعقل وتفكر وتصدق ما يخفي. يعني أن الذكاء الروحي أهم الوسيلة في تكوين الشخصية الإنسانية المسلمة. هكذا قاله الإمام الغزالي. (سورباني سودي، ورياضة، وبايلة: ٢٠١٧: ٤-٥). فالتحليل الدقيق الصحيح يقع في توازن النفس حيث تتأزر العناصر الثلاثة (السمع، والبصر، والفؤاد) في الحصول على معرفة الله الحقيقية.

وما يتعلق بهذه الأسس، فيقال أن عملية التعلّم والتفكّر والتفكّه والتفهّم هي عناصر رئيسية في تحكيم وتحديد وتعيين صحة وعقلية الشيء. وقد فعلها الباحثون اليوم في ابتكار الأشياء الجديدة العجيبة واختراعها. وهذا هو الذي يفرق بين الباحثين المسلمين القداماء والباحثين المسلمين المعاصرين، ولا سيما لغير المسلمين. يعني أن معظم الباحثين اليوم يتوقون في نقاط التفكير والتحليل والحصول على المعلومات الخارجية والظاهرية فحسب، دون أن يستمروا أو يهتموا بالزاوية الداخلية أو الباطنية، وهي بالتدبّر والتأمل والتدكّر ما وراء البحوث والدراسات

والمطالعات التي فعلوها. فيزعم بعضهم أن ما وجدوا وحصلوا من بحوثهم ودراساتهم هو الأصح والأدق والأقوى. هذه هي مشكلة خطيرة قد أصابت معظم الباحثين أو الطلاب اليوم، كما بدأها الغربيون والمستشرقون وينشدونها مستمراً لا نهائية، حتى أن يتبع المسلمون جميعاً خطواتهم رويداً. فمن خلال هذا التكامل (العلم النقلى والعلم العقلي)، نرجو طبعاً نظاماً جديداً ونسقاً منسجماً ومنهجاً صحيحاً دقيقاً للوصول إلى أعلى الأفق وهو أمة وسطية في توازن وتعادل في الدارين، الدنيا والآخرة. فالتحليل الصحيح الدقيق المتوقع إليه هو التحليل الذي يستبصر ويتركز في عنصرى الخارجي والداخلي أو الظاهري والباطني باستخدام مقاييس أو معايير دقيقة دون أن يغفل دور العقل والفؤاد في الاستنباط. فهذه هي المرقاة المهمة يجب على الباحثين أن يرفعوها ويهتموا بها اهتماماً كبيراً لكي يحصلوا على الغرض الواحد في هذا التكامل، أي التوازن أو التعادل.

بنسبة هذا التوازن، فالقرآن المجيد قد أخبرنا عن اتخاذ الكعبة قبله بتوجهه المسلمون إليها في العبادة، وهي نقطة الأرض المرتكزة من المشرق والمغرب، يجعلها المؤمنون رمزاً عظيماً في مفهوم التعادل أو التوازن في الحياة من خلال القيم العبودية في الحج، سواء كانت جسدية أم روحانية. وقوله الجبار العزيز الذي يتحدث عن الأمر بالاستقبال إليها والحكمة فيه، والإخبار عن المنقلبين (سورة البقرة، الآية: ١٤٢-١٤٤) يعطي العبرة العظمى لكل من يعقل ويتفكر. وكذلك الحث على التكامل نستطيع أن نفهمه في التعبير الموجز: "قل لله المشرق والمغرب"، أي أن العلوم كلها لله، لا فاصل بينها إلا قد فصلها غير المسلمين القيم الدينية (الإسلامية) فيها منذ بدأوا يأخذون ويسرقون ما ابتدع العلماء القدماء المسلمين، فظهرت العلوم وهي قائمة على مجرد نظريات التي تخلو من الجانب الديني. فلندفع ونترك ما ينحرف من عقيدتنا المستقيمة ونأخذ ما نستفيد منها بتعليقها مع مبادئ العلوم الإسلامية على نحو متكامل.

وفي طرف الآية التي نحن بصدها، حُتمت بعبارة وجدانية مؤثرة عميقة وهي بكلامه جلّ وعلا "لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ". وهي خاتمة عظيمة مبينة فيها حكمة بالغة، أي إن الله قد وهب الإنسان السمع والأبصار والأفئدة ليستعملها بحسن في حياته حتى يعرف حقيقته مخلوقاً كاملاً، فيصبح عبداً شكوراً. وكانت هذه الحواس مسؤولة عنها في يوم ثقبيل. فمعنى الشكر يؤدي إلى فكرة كافة وهي كيف يعقل الإنسان ويفكر ويتدبر آيات الله العظمى، كيف يوازن حياته بالمشي في السبيل القويم، وكيف يعرف هدف حياته ومرجعه الحقيقي. فالعلم يلعب دوراً مهماً في تحقيق الغرض الوحيد المستقيم، أي الإنسان الكامل الشكور. فلنتأمل ما قال الإمام الغزالي: "خلاصة العلم أن تعلم الطاعة كما هي".

٤ . الخاتمة

بعد تناول الطويل التفصيلي عن القواعد الأساسية والوسائل المفضلة والخطوات المتكاملة في هذا التكامل (بين العلم النقلى والعلم العقلي)، قد وصل الباحث - في نهاية المطاف - إلى عدة نقاط مهمة، وهي كما يلي:

١. أما الباحثون المسلمون فينبغي لهم أن يجعلوا القرآن مصدرًا ومرجعًا ومسندًا رئيسًا في مجوئهم الأكاديمية حيث كانوا يكشفون في دراستهم العلمية القيم الإسلامية التي لا تتعارض فيها ولا تتنازع. هكذا الحديث النبوي كان مصدرًا ومرجعًا ومسندًا ثانويًا بيانًا واضحًا مفصلاً جليًا للقرآن الكريم.
٢. القاعدة الأساسية في تطبيق عملية التكامل بين العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية مباشرة تعتمد على استعمال الوسائل المهمة (السمع، البصر، والفؤاد) في جمع البيانات، وتحليلها بشكل صحيح.
٣. الجوهر من هذا التكامل هو التوازن والتعادل والتناغم والتناسب والتناسق في نظام واحد صحيح دقيق متكامل (نظام الإسلام) نحو غاية عظيمة سامية (أمة وسطية أو أجيال القرآن الأعلون).
٤. تكامل العلم النقلي والعلم العقلي هو منهج من مناهج، وإجابة من إجابات، وحل من حلول لمشكلة خطيرة التي يعانيها أبناء المسلمين اليوم، وهي الفهم أو الغوص في العلوم الفارغة عن القيم الدينية (الإسلام)، بل في المفهومات أو النظريات المضلّة.

References

- Al-‘Aqqad, ‘Abbas Mahmud. (1947). *al-Falsafah al-Quraniyyah*. Egypt: Dar Nahdhah Misr.
- Al-‘Askari, Abu Hilal. (1997). *al-Furuq al-Lughawiyyah*. Egypt: Dar al-‘Ilm wa al-Tsaqafah.
- Al-Ghazali, al-Imam Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad. (n.d.). *Ihya ‘Ulum al-Din*. Beirut, Lebanon: Dar al-Ma’rifah.
- Ali Jumu’ah, al-Imam al-‘Allamah Nur al-Din. (2009). *al-Wahyu – al-Quran al-Karim*. Egypt: al-Wabil al-Saib.
- Al-Janabi, Maitham. (2004). *Isykaliyyah al-Aql wa al-Hikmah fi Hiwar al-Hadhaaraat*. Riyadh: Maktabah al-Malik Abd al-Aziz al-‘Ammah.
- Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad. (1988). *Kitab al-Ta’rifat*. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Al-Kitab al-Tidzkari*. (1985). Egypt: al-Azhar al-Syarif.
- Al-Salih, Muslih. (2012). *Mu’jam Mustalahaat al-‘Ulum al-Ijtima’iyyah Muzdawij al-Lughah: Arabic – English, English – Arabic, li al-Bahithina wa al-Mukhtassina fi al-‘Ulum al-Ijtima’iyyah*. Riyadh: Jami’ah al-Malik Su’ud.
- Al-Tabrani. (n.d.). *al-Mu’jam al-Kabir*. (n.p.)
- Al-Tafsir Al-Muyassar*. (2012). Riyadh: Majma’ Malik Fahd – Kingdom of Saudi Arabia.
- Al-Tunji, Muhammad. (1993). *al-Mu’jam al-Mufasssal fi al-Adab*. Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Anis, Ibrahim, et. al. (1972). *al-Mu’jam al-Wasit*. Cairo, Egypt. (n.p.).
- Ibn Khaldun, al-‘Allamah Abd al-Rahman. (n.d.). *Muqaddimah Ibn Khaldun*. al-Iskandariyah: Dar Ibn Khaldun.
- Ibn Manzur. (1990). *Lisan al-Arab*. Egypt: Dar al-Ma’arif.

- Ibn Taimiyyah, Abu al-Abbas Taqiyuddin Ahmad ibn Abd al-Halim. (1991). *Dar-u Ta'arudh al-Aql wa al-Naql*. Kingdom of Saudi Arabia: Jami'ah al-Imam Muhammad ibn Su'ud al-Islamiyyah.
- Jumhuriyyah Misr al-'Arabiyyah. (1994). *al-Mu'jam al-Wajiz*. Egypt: Wazarah al-Tarbiyah wa al-Ta'lim.
- Ma'sum, Muhammad. (1965). *al-Amthilah al-Tasrifiyah Li al-Madaris al-Salafiyah al-Syafi'iyah*. Indonesia: Salim Nubhan.
- Suriani Sudi, et. al. (2017). Kecerdasan Spiritual Menurut Perspektif Hadis. *Al-Irsyad: Journal of Islamic and Contemporary Issues*, KUIS. Vol. 2, No. 2, pp. 4-5.
- Umar, Ahmad Mukhtar. (2008). *Mu'jam al-Lughah al-'Arabiyyah al-Mu'asirah*. Egypt: 'Alam al-Kutub.
- Wan Muhammad 'Izam, Salihah Hj. Ya'qub, Sekou Turi. (2015). al-Takamul al-Ma'rifi fi al-Turath al-Arabi al-Islami: Dirasah Tahliliyah wa Naqdiyyah. *Majallah al-Lughah al-Arabiyyah Li al-Abhath al-Takhassusiyyah (JALSR-SIATS Journals)*. Vol. 2, No. 1.

AUTHOR'S BIOGRAPHY

Muh. Naim Madjid, is a Ph.D. degree holder of Arabic Literary studies at the International Islamic University of Malaysia, Kuala Lumpur. He received his Master degree (M.I.S.) in Arabic studies and Islamic Civilization at the National University of Malaysia. His research work is on Arabic studies and Contemporary Issues in the Quranic Perspective. Currently, he is Assistant Professor in the Arabic Education Department, Faculty of Language Education, University of Muhammadiyah Yogyakarta, Indonesia. He can be contacted at naimmadjid@umy.ac.id.